

كافيات كليلة ودمنة

17

الجرذ و السنور



بقلم : ا. عبد الحميد عبد القصود
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى



يُحكى أَنَّهُ فِي مَكَانٍ مَا كَانَتْ تُوجَدُ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ ، هَائِلَةُ الضَّخَامَةِ ..
وَأَنَّهُ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ كَانَ يُوجَدُ جَحْرٌ سَنُورٌ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ (رُومِي) .
وَأَنَّهُ قَرِيبًا مِنْهُ كَانَ يُوجَدُ جَحْرٌ جَرَذٌ يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ (فَرِيدُون) .
وَكَانَتْ بَيْنَ (رُومِي) وَ (فَرِيدُون) عَدَاوَةٌ شَدِيدَةٌ ، مُنْذُ زَمَنٍ ، فَلَمْ يَكُنْ
أَحَدُهُمَا يُحِبُّ الْآخَرَ ، بَلْ كَانَ يَأْمُلُ فِي الْخِلَاصِ مِنْهُ .
وَكَانَ هَذَا الْمَكَانُ مَلِيئًا بِالطَّيُورِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، فَكَانَ الصَّيَّادُونَ يَرْتَادُونَهُ
كَثِيرًا لِلصَّيْدِ .



وَذَاتَ يَوْمٍ قَدِمَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ صَيَّادٌ مَاهِرٌ ، فَنَصَبَ شَبَكَتَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ جُحْرِ
(رومى) ، ثُمَّ ذَهَبَ لِقَضَاءِ بَعْضِ حَاجَاتِهِ ، حَتَّى يَقَعَ فِي الشَّبَكَةِ صَيْدٌ .

وَسَرَّعَانَ مَا خَرَجَ (رومى) مِنْ جُحْرِهِ ، فَرَفَعَ فِي الشَّبَكَةِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ
يَخْرُجَ مِنْهَا .

وَبَعْدَ قَلِيلٍ خَرَجَ (فَرِيدُونَ) مِنْ جُحْرِهِ ، بَاحِثًا عَنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ، وَهُوَ حَذِرٌ
كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّهِ (رومى) .

وَفَجْأَةً رَأَى الْجُرْدُ غَرِيمَهُ السَّنُورَ دَاخِلَ الشَّبَكَةِ ، فَاسْتَبَشَرَ بِذَلِكَ خَيْرًا ، وَقَالَ
فِي نَفْسِهِ :

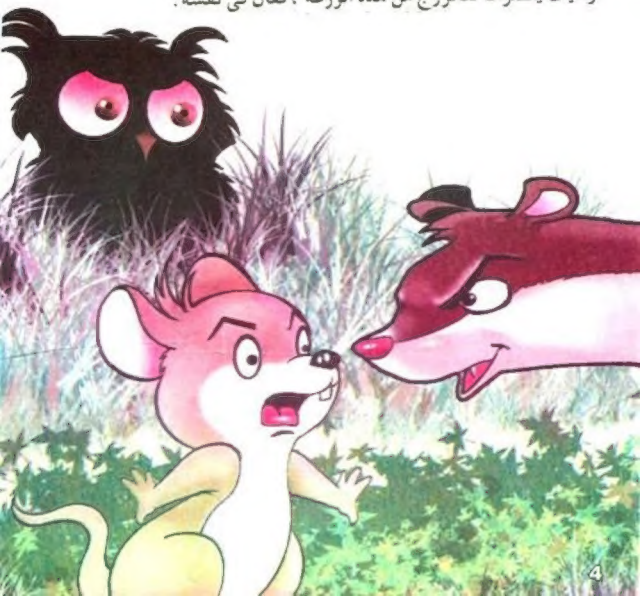
— قَدْ خَلَّصَنِي اللَّهُ مِنْ عَدُوِّى اللَّدُودِ إِلَى الْأَبَدِ . سَرَّعَانَ مَا يَأْتِى الصَّيَّادُ ،
فَيَأْخُذُهُ ، وَيَسْلُخُ جِلْدَهُ .



وبينما الجرذ (فريدون) شارد في خواطره السعيدة هذه ، رأى بومة واقفة على غصن الشجرة ، فخاف منها ، والتفت خلفه ليهرب ، فرأى (ابن عرس) متربصاً به ومستعداً لاختطافه ، فخاف الجرذ وقال في نفسه :

— إذا رجعت ورأيتني اختطفني ابن عرس ، وإن تقدمت أمامي افترسني السنور ، وإن ذهبت يمينا أو شمالاً اختطفني البومة .

وهكذا وقف الجرذ المسكين متحيراً في أمره ، وهو لا يدري ماذا يصنع ، وكيف يتصرف للخروج من هذه الورطة ، فقال في نفسه :



- هذا بلاءٌ عظيمٌ قد أحاط ، وشروءٌ كثيرةٌ قد تجمعتُ حولي ، ومحنٌ كثيرةٌ قد ابتليتُ بها ، ولكن أحمد الله على أنه أعطاني عقلاً ذكياً ، فلا يفزعني شيء ، ولا تقتلني الدهشة ، ولا يتمزق قلبي رعباً من هول كل هذه المخاطر التي تحيط بي ، فالعاقِلُ هو الذي يحسنُ استخدام عقله في مثل هذه المواقف الخطيرة ؛ ليخرج من المحنة بسلام .

وبعد تفكير سريع ، قال الجرذ في نفسه :

- لست أرى لي مخرجاً من هذا البلاء إلا مصالحة السنور ، والاتفاق معه ، حتى وإن كان أعدى أعدائي ؛ لأنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي .. المهم أن ينصت إلى كلامي ، ويشق أن في نجاتي نجاته ، فيوافق على معاونتي إياه .



وتقدم الجرذ من السنور ، فقال له :

- كيف حالك أيها الغريم القديم ؟!

فقال السنورُ في ضيق :

- في ضنكٍ وضيق ، وأظنُّ أن ذلك يسُرُّكَ ..

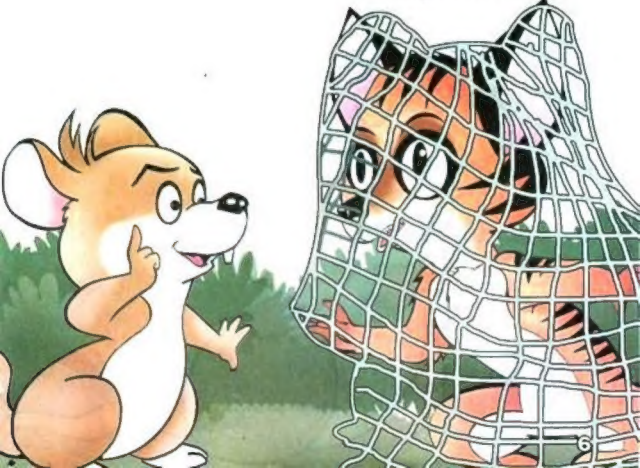
فقال الجرذُ في لهجة صادقة :

- كيف أسرَّ بذلك ، وأنا الآن شريكك في البلاء ؟! لقد جئتُ إليك أعرضُ

عليك أن نتركَ العداوةَ قليلاً ، حتى ينجو كلانا من هذه الحنة .. وثقُ أنني

صادقٌ في كلامي ، وأنه لا نجاةَ لي إلا بخلاصك من هذه الشباك .. من الأفضل

أن ننجو معاً بدل أن نهلك معاً .



فقال السنور :

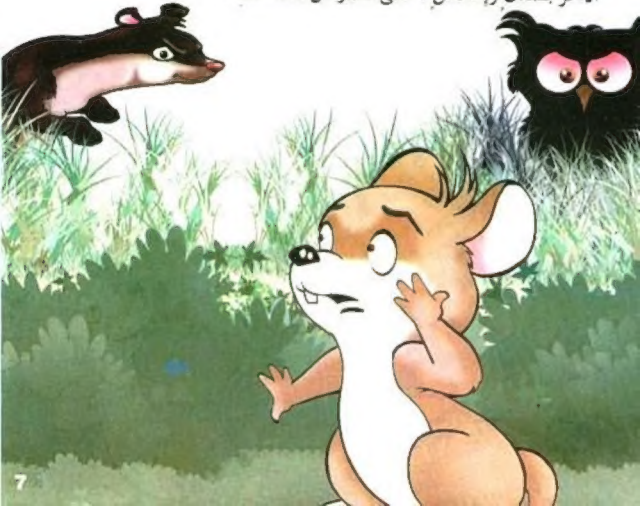
- ما الذى يدرينى أنك صادق فى كلامك ، وأنها ليست خُدعة من خدعك ؟

فَقَالَ الجرذ بلهجة صادقة :

- إن ابن عرس كامن لي من الخلف ، والبومة متربصة لي من فوق الشجرة ،
فإن أعطيتنى الأمان قرضتُ جبال الشبكة ، وخلصتُك من هذه الورطة .

فلَمَّا رأى السنور ابن عرس كامنا من خلف الجرذ ، والبومة متربصة له فوق
الشجرة ، أدرك صدق كلامه ، ورغبته الجادة فى مساعدته ، فقال له :

- لقد تحققت من صدق كلامك ، أنا أيضا راغب فى الخلاص من هذه
الشبكة اللعينة ، فلننبذ عداوتنا جانبا ، ولنتعاهد على أن يساعد كل منا
الآخر بصدق وإخلاص ، حتى ننجو من هذه المحنة .



فقال الجرذ :

- اتفقنا .. سادنو منك الآن طالما أنك قد أعطيتني الأمان ، وأقرضُ حبال الشبكة كلها إلا حبلًا واحدًا أبقيه ، ولن أقرضه إلا في اللحظة المناسبة التي أختارها أنا .

فتعجب السنور وقال :

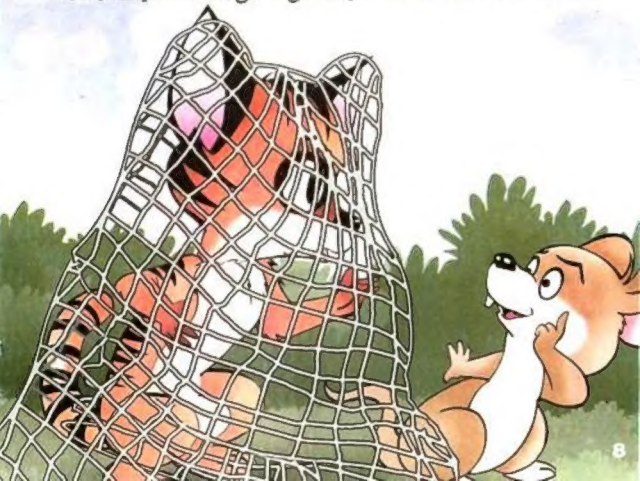
- ولم تترك هذا الحبل دون قرض ، وتبقيني أسيرًا بسببه ؟!

فقال الجرذ :

- هذا الحبل سوف أستبقيه ، حتى أستوثق لنفسى منك .

فقال السنور :

- أنت وما تحب ، طالما أنك لست واثقًا منى ، حتى بعد أن أعطيتك الأمان .



وبدا الجرذ يعمل فى هِمةٍ ونشاطٍ على قرض حبال الشبكة . فلما رأى ابنُ عرس والبومة أن الجرذ بدأ فى قرض حبال الشبكة ، يَسُّ كُلُّ منهما من انصرافه ، وابتعد كُلُّ منهما ؛ لِيبحثَ عن صيدٍ آخر .

ولما رأى الجرذ أن الخطر قد زال ، أَخَذَ يَتَكَاسَلُ فى قُرْضِ حِبالِ الشبكة . وأحس السنور بذلك ، فقال له :

— ما لى أراك متكاسلاً عَنْ قُرْضِ حِبالِ الشبكة .. هل شَعَرْتَ بالأمان لأن أعداءك قد رحلوا ، فلا تريدُ أن تُتِمَّ العملَ الذى عاهدتنى عليه .. إِنَّ وَعْدَ الحُرِّ دينٌ عليه ، والكرِيمُ لا يَقْصُرُ فى حقِّ صاحبه ، فلم يَرُدَّ عَلَيْهِ الجرذ بكلمة ،



واستمر السنور مذكراً إيَّاهُ بما اتفقا عليه قائلاً :

ـ لَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مُوَدَّتِي مِنَ النِّفْعِ وَالْفَائِدَةِ مَا لَا تُنْكِرُهُ ، وَلِهَذَا فَأَنْتَ
مَدِينٌ لِي وَيَجِبُ أَنْ تَخْلُصَنِي مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ اللَّعِينَةِ .. لَا تَذْكُرِ الْعَدَاوَةَ الَّتِي
كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؛ لِأَنَّ الَّذِي حَدَّثَ بَيْنَنَا مِنَ الصُّلْحِ يَجِبُ أَنْ يُنْسِيكَ ذَلِكَ .
وسكت السنور قليلاً .. ثم استمر قائلاً :

ـ إِذَا كُنْتَ قَدْ نَوَيْتَ الْغَدْرَ بِي ، فَإِنِّي أَذْكُرُكَ أَنَّ عَاقِبَةَ الْغَدْرِ وَخِيْمَةٌ ، وَأَنَّ
الْكَرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا شُكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ .. وَإِنْ أُسْرِعَ عَقُوبَةً هِيَ عَقُوبَةُ الْغَدْرِ ،
وإنْ مِنْ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْخِنَةِ ، وَيَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ ، فَلَمْ يَرْحَمْ
وَلَمْ يَعْفُ هُوَ غَادِرٌ .



فتكلم الجرذ أخيراً ، وقال بعد طول صمت :

- إن الصديق نوعان .. صديق طائع مُختار ، وصديق يكون بالاضطرار ،
وكلاهما يرجو المنفعة ، ويحترس من المضرة .. فأما الصديق الطائع المختار ،
فهو الذى ياتئنه المرء فى جميع الأحوال .. وأما الصديق بالاضطرار كما هو
حالى معك الآن ، ففى بعض الأحوال ياتئنه المرء إليه ، وفى بعض الأحوال يتخذ
جذره منه .. ولكن اطمئن فأنا موف لك بما قطعته على نفسى ، من تخليصك
من هذه الشبكة . لكننى أيضا محترس منك ، خشية أن يصيبنى ما أجانى إلى
مصالحتك . وأجأك أنت إلى قبول الصلح منى .



فقال السنور :

— هذا الوفاء منك يُحسبُ لك في ميزان حسناتك .

وقال الجرذ :

— سوف أمضي في عملي ، فاقطع الحبال كُلِّها ، إلّا عقدة واحدة سوف أتركك مربوطاً فيها ، ولا أقطعها إلّا في اللحظة التي أراك فيها مشغولاً ، حتى لا تقفز عليّ وتأخذني ، وذلك عندما أرى الصياد قادماً نحونا .

وعاد الجرذ يواصل عمله في قرص حبال الشبكة ، حتى ظهر الصياد ، فقال

له السنور :

— أسرع وإلّا أخذني الصياد .



فقال له الجرذ :

- اطمئن .. لم تبقَ إلا آخر عُقْدَة .

وفى اللحظة التى وصل فيها الصياد قرض الجرذ العقدة الأخيرة ، فقفز السنور فوق الشجرة ، واختبأ الجرذ فى جحره ، والصياد ينظرُ بدهشةٍ وذهولٍ إلى شبكته الممزقة .. ثم حملها ورحل .

وبعد قليل خرج الجرذ من وكره ، وخاف أن يقترب من السنور ، فناداه السنور قائلاً :

- أيها الصديقُ المخلصُ الناصحُ ، لماذا لا تقتربُ منى ، حتى

أجازيك خيراً على ما قدمت لى من معروف ؟!

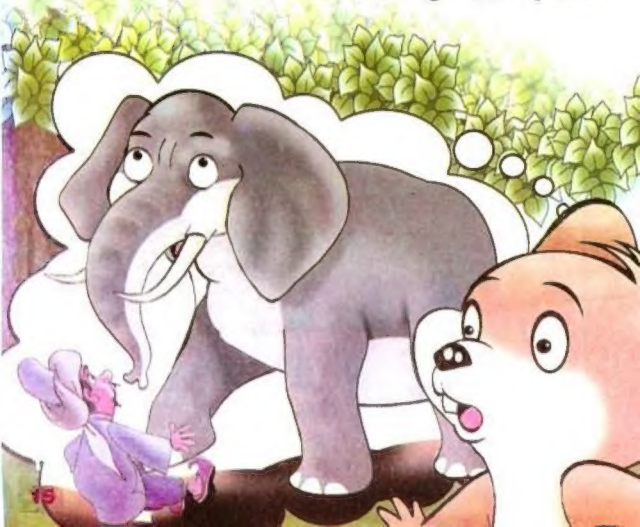


فَظَلَّ الْجُرَذُ فِي مَكَانِهِ مُحَازِرًا أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُ ، وَاسْتَمَرَ السَّنُورُ قَائِلًا :
- تَعَالَ إِلَى يَا أَخِي وَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي ؛ لِأَنِّ مِنْ اتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ رَجَاءَهُ حُرْمٌ
ثَمَرَةُ إِخَانِهِ ، وَيَتَسَّ مِنْ مَنَفْعَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ لِبَعْضِهِمْ .
فَظَلَّ الْجُرَذُ وَاقِفًا فِي مَكَانِهِ مُحَازِرًا مِنْهُ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، بَيْنَمَا رَاحَ
السَّنُورُ يَقْسِمُ لَهُ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ فِي مَوَدَّتِهِ لَهُ ، وَأَنَّهُ رَاغِبٌ فِي
مُكَافَأَتِهِ عَلَى الْمَعْرُوفِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْجُرَذُ :
- رُبَّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ ، لَكِنِّهَا تَحْمَلُ فِي بَاطِنِهَا عَدَاوَةً كَامِنَةً ، وَهِيَ أَشَدُّ
خَطَرًا وَضَرَرًا مِنَ الْعَدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ .. وَمَنْ لَمْ يَحْتَرَسْ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ



يكون مثل الرجل الذى يركبُ ناب الفيل الشائر ، ثم يغلبُه النعاس ،
فيستيقظ ليجد نفسه تحت أقدام الفيل ، فيدوسُ عليه ويقتله .. لقد سُمى
الصديقُ صديقًا لما يرجوه المرء من نفعه ، وسُمى العدوُّ عدوًّا لما يخافه المرء من
ضرره .. والعَاقِلُ هو الذى إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضرر
الصديق أظهر له العداوة .. لقد زالت الآن صداقتنا ، فاتركنى وشأنى .
وعبثًا حاول السنور أن يقنع الجرذ بأنه صديقٌ له ، وليس عدوًّا كما كان فى الماضى .
فقال له السنور ، بعد أن يئس منه :

— أنت وما تحب يا أخى ..



وقال له الجرذ :

- أنا الآن أحبُّ لك من البقاء والسلامة ، ما لم أكن أحبُّه لك من قبل ، وكل ما أرجوه منك أن تعاملني بمثل ذلك .

فقال السنور :

- وأنا أرجو لك ذلك .

وهكذا عاد كلٌّ من الجرذ والسنور إلى حياتهما القديمة ، بعد أن جمعت بينهما الصداقة في لحظات الخطر .

(نَمت)

رقم الإصدار : ١٧٣٧٢ / ٢ - ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : ٢ - ٨٢٠ - ٢٦٦ - ٩٧٧

